



كتابه الأخير ؛ فهو يعلم أننا عُنينا به وهو لا يزال في مهده ،
وقنا بمض الشيء على تنشئته وتكوينه ، وقد ناقشناه غير مرة
في طريقته وأسلوبه وموضوعه ومصادره ؛ وها نحن أولاء
مسرورون بظهوره في توبه الحاضر سروراً مزدوجاً ، فيسرنا
منه ما فيه من أبحاث قيمة أضافت إلى اللغة العربية ثروة طائلة ،
وتنتبظ بأن نرى فيه زهرة يانعة شهدنا من قبل ساعة تفتحها
ونابمنا أودار نغمها وكالها . وإذا كنا قد أسررنا بالأمس إلى
الدكتور ولفنسون بما لا حظنا على مخطوطته ، فنحن اليوم في
حل من أن نعلن إلى قرائه ما خلفه كتابه في نفسنا من أثر ؛
والأبحاث العقلية وقف على أحبابها ما لم ينشروها ؛ فان نشرت
أصبحت ملكاً للانسانية جمعاء

يشتمل كتاب موسى بن ميمون على التصدير ، وأربعة أبواب
وفهرس بأسماء المصادر العربية والعبرية والافرنجية . ففي التصدير
يبين المؤلف الأسباب التي دفعته إلى وضع كتابه ، والطريق الذي
سلكه ، والصعوبات التي صادفته ، ويلخص النتائج التي انتهى إليها ؛
وفي الباب الأول يدرسن حياة ابن ميمون ويأتي على الظروف
المتخلفة التي أثرت في نشأته وتكوين آرائه ، ويعرض في إسهاب
لشكلة إسلامه مدلياً فيها بأقوال المؤرخين السابقين ومناقشاً لها
مناقشة طويلة . وهذا الباب حافل بالمعلومات يدل على اطلاع
واسع وبمحت مستفيض ، إلا أنه لم يرتب ترتيباً كافياً . وقد عني
فيه بجمع الحقائق وسردها أكثر مما عني بطريقة عرضها وربط
بعضها ببعض . وكنا نود أن يرجع المؤلف العوامل التي أثرت
في حياة ابن ميمون إلى نقط رئيسية يأتي عليها الواحدة بعد
الأخرى . نحن لا ننكر أن ملخصه الجامع الذي صدر به كل
باب من أبوابه حدد بمض الشيء ؛ ولكن كنا نفضل أن
يقسم هذه الأبواب إلى فقرات يُسنون لسكل واحدة منها
بمنوان خاص ، كما صنع في مشكلة إسلام ابن ميمون مثلاً^(١)

موسى بن ميمون

حياته ومصنفاته

تأليف الدكتور اسرائيل ولفنسون

بقلم الدكتور ابراهيم ييوسى مدكور

هنالك كتب تقرأ لموضوعها وأخرى لأصحابها ؛ وكان
منظمى المكتبات العامة أدركوا هذا المعنى تماماً فأعدوا طائفتين
متميزتين من الفهارس : إحداهما للعامة والأخرى للمؤلفين ؛
والكتاب الذي نحن بمصدده يجذب القراء بموضوعه وبما
يبدله مؤلفه من وسائل في سبيل نشره . فهو يدرس أولاً أعظم
شخصية بين مفكري اليهود في القرون الوسطى ، ومن ذا الذي
لا يرغب في أن يعرف شيئاً عن ابن ميمون بعد ذلك الحفل العظيم
الذي أقيم في العام الماضي تخليداً لذكراه المثوية الثامنة ؟ وأعتقد
أن هذا الحفل نجح نجاحاً كبيراً ؛ فقد وجه الباحثين إلى دراسته
وتعريف الناس به ، وأنحت شخصيته بمده شعبية إلى حد ما ،
ولو لم يكن من آثاره إلا كتاب اليوم لكفى . وعلنا نحتذى
هذه السنة الصالحة ونخلد ذكرى فلاسفة الشرق وعلمائه الآخرين
كي نبشهم من مرقدهم وننشرهم ونلفت الأنظار إليهم ونحلهم
في المحل اللائق بهم . وفوق هذا ففي الدكتور ولفنسون نشاط
يقبط عليه ؛ وليس نشاطه في التحدث عن كتبه بأقل من نشاطه
في جمعها وتأليفها ، ولا تكاد تلقاه إلا ومحدثك عن أبحاثه الماضية
ومؤلفاته الحاضرة ومشروعاته المستقبلية ؛ وإذا ما ظهر له في عالم
التأليف كتاب خيل إليك أنك تلح باستمرار على وجهه السؤال
الآتي : هل قرأت كتابي ؟ ولسنا ندرى ماذا كان يصنع لو قدر
له أن يشتمل بالأعمال السالية والشؤون الاقتصادية ؛ يلب على
ظننا أنه ما كان يُبارى في هذا المضمار ؛

ولسنا في حاجة لأن نؤكد للدكتور ولفنسون أننا قرأنا

وهذه الفقرات في مجملها لا تخرج عن الملخصات الآتية الذكر . وقد وقف المؤلف على إسلام أسرة ابن ميمون ١٤ صفحة كاملة ؛ وهذا الموضوع هام حقاً وجدير بهذه العناية . غير أنا لا نكاد نجد فيه شيئاً جديداً ؛ ذلك لأن المؤلف شُجِلَ بجمع ونقل آراء الباحثين السابقين دون أن يرجح واحداً منها على آخر ترجيحاً واضحاً . والواقع أن هذه المسألة درست من قبل دراسة موسعة ، فلم ير صاحب كتاب موسى بن ميمون بداً من أن ينقل آراء من سبقوه ويمول عليها التمويل كله حتى في مناقشة النصوص التي عرض لها . ولا يفوتنا أن نشير إلى أنه قد يسبب أحياناً في سرد هذه النصوص وينقل منها ما يجاوز بحثه ويناقشها مناقشة سطحية . ونعتقد أنه كان في مقدوره ، وهو ذو خبرة لنوية واسمة أن يشرح النصوص العربية شرحاً أصبغ ، ويستكمل ما فات المستشرقين السابقين

وفي الباب الثاني الذي هو أصغر أبواب الكتاب درست مؤلفات ابن ميمون الدينية . وهذا الباب واضح في مجلته وبعثو على ملاحظات وقد لا بأس به ، وما اتصل فيه بثنية التوراة والتلمود جيد للغاية . ولا غرو فال المؤلف حين يدرس الفقه والتشريع الاثرائيل إنما يتكلم عن خبرة فامة ومعرفة حق ؛ فهنا يبدو بجلاء اختصاصه وتمكنه من مادته . هذا إلى أنه أحسن اختيار ما قدمه ؛ فلم يشغل القارئ العربي بتفاصيل جزئية عن الديانة اليهودية قد لا تنبه كثيراً معرفتها .

والآن نتقل إلى الباب الثالث الذي هو عمدة الكتاب وأكبر أبوابه ، وقد عتقنا له المؤلف كالأقبي : « فلسفة موسى بن ميمون ومصنفة دلالة الحائرين »^(١) . ويخيل إلينا أنه كان الأولى أن يكون عنوانه كما يلي : « دلالة الحائرين وما يحوي من آراء فلسفية ودينية » . قالت المؤلف لم يشرح في هذا الباب فلسفة ابن ميمون شرحاً نظرياً وتاريخياً منظماً ؛ وإنما جعل كل هم أن يلخص كتاب دلالة الحائرين وينقل أهم ما جاء فيه من آراء وأفكار ، ويعطى فكرة عامة عن تاريخ تأليفه والأدوار التي مر بها منذ ابن ميمون إلى اليوم ، ويبين أثره في العالم الغربي والشرق . ولئن فاته أن يدرس فلسفة ابن ميمون الدرر اللاتق بها لقد وفق توفيقاً كبيراً في تلخيص كتابه دلالة الحائرين ، ونستطيع

(١) المصدر نفسه ، ص ٥٧

أن نقرر أن هذا الملخص الذي يقع في نحو خمسين صفحة قد يفنى عن قراءة أجزاء دلالة الحائرين الثلاثة . ولم يلخص المؤلف هذا الكتاب بالمعنى ، بل ترك ابن ميمون يمر في أغلب الأحيان عن آرائه بنفسه . وفي هذا ما يسمح للقارئ أن يتصل اتصالاً مباشراً بالفيلسوف المترجم له . ويجدر بنا أن نلاحظ أننا في حاجة ماسة إلى طبع دلالة الحائرين بحروف عربية . ففي انتظار هذه الطبعة المنشودة قدم لنا الدكتور ولغنون فصولاً ممتعة من كتاب عربي هام كتب بالعربية دون أن يعرفه كثير من أبنائها . وكل ما يؤخذ على هذا الملخص نقص في الترتيب وربط المسائل بعضها ببعض أحياناً ، أو قصور في عرض بعض النقط أحياناً أخرى . ففي صفحة ٥٨ يحكم المؤلف مثلاً على الترجمات العربية حكماً غير مبني على أساس صحيح ، ويشير إشارة ناقصة إلى أثر الفلسفة الاسلامية في الفلسفة اليهودية . وكنا نتوقع أن يميز هذه المسألة ما تستحق من أهمية ، ولا سيما وهو يدرس شخصية يبدو فيها الأثر الاسلامي بشكل واضح . والتاريخ والواقع يشهدان بأن الفلسفة اليهودية في مجملها ليست إلا امتداداً للفلسفة الاسلامية . وفي صفحة ١٢١ يتكلم عن أسلوب ابن ميمون ؛ وفي رأينا أنه كان ينبغي أن يقدم هذه النقطة ويبدأ بها قبل الدخول في تفاصيل كتاب دلالة الحائرين ؛ على أن المؤلف فاته أن يشير إلى جلاء ابن ميمون ، ووضوح لغته ، وعنايته بتوسيل المعنى إلى القارئ ، وطريقته المنطقية البرهانية في المناقشة والتعليل

وفي الباب الرابع والأخير يدرس المؤلف كتب ابن ميمون الطبية . وهذه تكملة لا بد منها ؛ قالت ابن ميمون فوق تشريحه وفلسفته كان طبيباً يشار اليه بالبنان في علمه وعمله ، وقد خلف كتباً طبية عديدة استفاد منها الشرق والغرب أثناء القرون الوسطى . وقد نجح المؤلف في التمرير عنها ، وعرض نماذج من موضوعاتها ؛ وإن كان قد فاته أن يبين في وضوح الصلة بينها وبين المؤلفات الطبية العربية الأخرى المعاصرة لها أو السابقة عليها . وعمل هذه الدراسة ألصق بكتاب طبي منها يبحث تاريخي

وفي الفهرس نرى مجموعة طبية من المراجع القديمة والحديثة العربية والعبرية والافرنجية التي تتصل بحياة ابن ميمون وآرائه ومؤلفاته . وياليت المؤلف أضاف إليها بعض الملاحظات النقدية